بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة موهبة

الموهبة... كيف نرعاها؟

لا يختلف اثنان في أن رعاية الموهبة مسؤولية وطنية كبرى، وقد لا يجادل من وهب بصيرة أن مدى التطور والتقدم الذي يمكن أن تعانقه أي أمة مرهون وبدرجة كبيرة بعقول فذة لأفراد أعدادهم قليلة نسبيا في مجتمعاتهم. من هؤلاء القلة؟ وكيف نتعرف عليهم؟ وكيف نرعاهم؟ سقراط، ابن تيمية، ابن سينا، جابر بن حيان، أديسون، أينشتاين، وغيرهم نماذج تتراقص في مخيلة كثيرين عند الحديث عن فئة الموهوبين، فهم بحق صور متنوعة لمواهب خالدة، أثرت حضارة الإنسان، وأورثت علما لا يزال العالم بأسره يستقي من معينه على اختلاف مشاربهم وقيمة إسهاماتهم، ومازالوا نجوما ساطعة يستدل بعلومهم، ويؤثرون في مجتمعات وعصور متعاقبة رغم غيابهم. تلك الأسماء اللامعة في سماء الإنسانية مواهب فذة لا شك ولا مراء في ذلك أبدا، إلا أنها ليست من الفئة القليلة التي يجب أن يبحث عنها أي مجتمع ويرعاها، وإنما هي من نوادر المجتمعات الإنسانية وفلتات الأزمنة والعصور المتتالية، وهي أقل فئات الموهوبين حاجة إلى اكتشاف ورعاية، إذ لها القدرة أن تضيء بمولدات داخلية، وأن تجد طريقها إلى القمم على مستوى مجتمعاتها في معظم الأحايين بيسر وسهولة، والأهم من ذلك كله أن نسبة ظهور من يمتلك أمثال استعداداتهم العقلية والشخصية في المجتمعات الإنسانية نسبة محدودة قد لا تتجاوز في بعض التقديرات واحد من مليون.

وبنظرة خاطفة إلى هذه الفكرة يتبادر إلى أفهام بعض الناس أن مسؤولية النهوض بالمجتمعات إنما تقع على عواتق هذه الظاهرة نادرة الحدوث، والحق أن نوعيات بشرية كتلك جديرة أن تجعل من أمتها أمة عظيمة في مجال ما أو أكثر بإذن الله جل وعلا، لكن المجتمعات التي يهمها أمر حضارتها وتتطلع إلى أن ترتقي في معارج التطور والرفعة والسيادة في شتى المجالات، لا يمكن أن تنتظر معجزة

أو تغيير جذري في قوانين الطبيعة التي خلقها الله عز وجل، لينبثق منها العشرات أو المئات من تلك الفئة النادرة ليغيروا حالها بين عشية وضحاها، ويجعلوا منها أمة عظمية في فترة وجيزة.

ليس أولئك النوادر فقط من يصنع الحضارة، وليسوا أولئك فقط من يستحق أن تشرئب لهم الأعناق، وتعقد عليهم الأمنيات، هناك نسبة في كل مجتمع تصل في بعض التقديرات العلمية إلى خمسة عشر في المائة (١٥%) لديها من الاستعدادات العقلية ما يؤهلها فيما لو وجدت الرعاية المناسبة أن تقود مجتمعاتها إلى مصاف التقدم والمنافسة في شتى المجالات، بل وتشير بعض الدراسات العلمية كدراسة تايلر (1988) أنه في حال النظر إلى التميز على اعتبار المجالات العلمية والشخصية وليس الاستعدادات العقلية فحسب، فإن النسبة قد تصل إلى سبعين في المائة (٧٠%). إذ لكل إنسان مجالات تميز إذا ما أُحسن التعرف عليها وتعزيزها بأساليب مناسبة يمكن أن يُجنى منها ثمارا يانعة نافعة تسهم في مجموعها في النهضة الشاملة.

لا شك أن العمل المنظم والمتتابع بأساليب علمية موثقة مع الفئة القليلة التي وهبها الله عز وجل قدرات عالية نسبيا والمتوافرة بنسب لا بأس بها من بين فئات المجتمع استثمار مضمون الأرباح لحاضر الأمة ومستقبلها. وجدير بنا أن نتنبه إلى أن مهمة رعاية تلك الفئة ليست وظيفة جهة أو إدارة أو مؤسسة فحسب، بل هي رسالة أمة، ومهمة مجتمع بأسره.

المجتمعات الواعية والبصيرة بنواميس النهوض تصنع بيئة الموهبة قبل أن تبحث عن الموهوبين، تجعل من رعاية القدرات في شتى المجالات جزءا من ثقافتها القومية، ورسالة يؤمن بها أفرادها، ومهمة يشترك في أدائها مؤسساتها السياسية والاجتماعية والإعلامية والاقتصادية والتربوية. المجتمع كله يبحث في قدرات أفراده المتنوعة ويعترف بها ويرعاها. رعاية الموهبة لا تتطلب كثير علم في آلية الرعاية وأساليبها وطرائقها، وإنما تتطلب وعي بأهميتها، واستشعار بالمسؤولية حيالها، وقيام كل بدوره تجاهها. أليس من واجب مؤسساتنا التعليمية أن تجعل

رعاية الموهبة جزءا من وظيفتها التربوية؟ ألا يتطلع المجتمع من جهاتنا الأكاديمية أن تجعل مسارات خاصة للموهوبين في جميع برامجها التخصصية ؟ ألا يجدر بشركاتنا الصناعية أن تخصص برامج لسبر المواهب والقدرات في مجالاتها؟ ألا يمكن لمؤسساتنا الاقتصادية العملاقة وشركاتنا الاستثمارية المتضخمة أن تدعم برامج رعاية الموهوبين في شتى المجالات؟ ألا يحق لنا أن نتساءل عن دور إعلامنا بشتى أنواعه في بث ثقافة الموهبة؟ رعاية الموهبة ليست شعارا نزهو به، وليست أمنية نتغنى بها، وليست نفلا إن أحببنا القيام بتبعاتها، وليست وظيفة نؤديها في بعض أوقاتنا، وليست مسؤولية نلقي بتبعاتها على جهة بعينها، وإنما هي ثقافة مجتمع، ومنهجية حياة،وهمٌ يجب أن يشترك في حمله الجميع .